مقتطفات من كتاب

عمرو بن العاص

عباس العقاد

حدوتة كتاب

إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات

مصطفى علي سيد

(أبو مهاب)

https://cap-khir.com

sedratalmontha@gmail.com

وقد أدرك العاص الدعوة المحمدية ، ومات بعد الهجرة بقليل وهو فى الخامسة والثمانين ، ولكنه – فى أشهر الروايات – لم يُسْلم ، ولم يزل يناصب النبي وأصحابه العداء ، ويكيد لهم فى الجهر والخفاء . وهو الذى قال عن النبى عليه السلام حين مات ابناه القاسم وعبد الله : إن صاحبكم هذا لأبتر . فنزلت فيه الآية : « إنَّ شَانِئَكَ هو الأَبْتَر » . وكأنما كان التكاثر بالذرية والاعتزاز بالعصبية شنشنة غالبة على هؤلاء السهميين !

فكان حساده والنافسون عليه يلاحقونه بذكرها وهو على دست الإمارة ومنبر الخطبة ، وخاطر بعضهم رجلا أن يقوم إليه وهو على المنبر فيسأله : من أمُّ الأمير؟ . . فأمسك من غضبه وقال : النابغة بنت عبد الله . أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ ، فاشتراها عبد الله بن جدعان ، ووهبها للعاص بن وائل ، فولدت فأنجبت ، فإن كانوا جعلوا لك شيئًا فخذه . !

وعصبيته هذه هى التى أنسته أن الإسلام ينهى عن كراهة الذرية من البنات ، فأنف أنفة الجاهلية حين رأى معاوية يقبِّل ابنته عائشة . قال : من هذه ؟ قال معاوية : هذه تفاحة القلب ! فقال له : « انبذها عنك . فوالله إنهن ليلدن الأعداء ، ويُقرّبن البُعداء ، ويورثن الضغائن » . . !

كذلك كان يتحرج من إسقاط هيبته ونسيانه سَمته ، حتى قال عمر بن الخطاب وقد نظر إليه وهو يمشى : « ما ينبغى لأبى عبد الله أن يمشى على الأرض إلا أميرا ! » .

فهى بلوى فى طيِّها نعمة كما قال أبو تمام :

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلى اللهُ بعضَ القومِ بالنِّعم

يعزى نفسه بقوله المأثور عنه : « ان ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة » .

كتب النبى عليه السلام إلى جَيْفَر وعبَّاد ابنى الجُلَندى كتابا يدعوهما فيه إلى الإسلام ، قال فيه بعد السلام على من اتبع الهدى : « أما بعد ، فإنى أدعوكما بدعاية الإسلام . أسلما فإنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولَّيتكما ، وإنْ أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل ، وخيلى تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما . . »

قالوا : ومَثَل بين يدى البطريق فعجب هذا من أنفته وقوة جوابه ، فالتفت إلى من فى مجلسه وقال لهم باليونانية : « يظهر من أنفة هذا الرجل وكبَر نفسه أنه من وجوه العرب ، وربما كان من كبار قوادهم فلا ينبغى أن نتخلى عن قتله » . وكان مولاه وردان يفهم اليونانية ، فأحب أن يريهم خطأهم ، ويبن لهم أن الذى يكلمهم إنما هو رجل من عامة الجند ، فأسرع إليه فلطمه صائحًا به : ما أنت ولهذا يالكع ! دع هذا المقال لمن هو أولى منك بالكلام عن قومه ! فكانت هذه اللطمة سبب نجاته .

فعمر بن الخطاب هو الذى قال فيه : « لا ينبغى أن يمشى أبو عبد الله على الأرض إلا أميرًا » ، وهو الذى كان يقول كلما رأى رجلا يلجلج فى كلامه : « خالق هذا وخالق عمرو واحد » . وهو الذى تبين صواب هذه الثقة فى غزوات فلسطين نفسها ، فجعل يقول لإخوانه : « رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب » ، يعنى أريطيون الذى كانت تصحفه قلة النقط والشكل فى الحروف العربية يومئذ إلى أرطبون .

كان القبطيون . أو أبناء البلاد من غير الروم واليهود . على أشد السخط من الدولة الرومانية . لأسباب دينية وأسباب سياسية . إذ كانت كنيسة بيزنطة قد نازعت كنيسة الإسكندرية سلطانها وأرادت أن تفرض عليها مذهبا فى المسيحية لا تقرّه . وهو المذهب الذى اشتهر باسم المذهب الملكى . واعتقد التابعون له أن المسيح ذو طبيعتين . خلافا للإسكندريين الذين كانوا يدينون بطبيعة واحدة .

ومن تمام القول فى سمعة الحكم الإسلامى بعد فتح مصر . أن نعرض لمسألة طال فيها الأخذ والرد بين المؤرخين وناقدى الإسلام ، وهى مسألة احراق المكتبة الكبرى بالإسكندرية !

وخلاصة هذه المسألة أن عمرًا رفع إلى الفاروق خبر المكتبة ، فجاءه الجواب بما نصه : أما الكتب التى ذكرتها ، فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنى ، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليه . فتقدم باعدامها » ، فوزعت الكتب على أربعة آلاف حمَّام بالمدينة ، ومضت ستة أشهر وهى تستخدمها فى وقودها .

ولم تذكر هذه الرواية إلا بعد انقضاء ستة قرون على تاريخ الفتح ، فلم يعرض لها البطريق يوتيخوس الذى توسع فى الكلام على فتح الإسكندرية . وكذبها ظاهر من المبالغة فى عدد الكتب التى تغنى أربعة آلاف حمام عن الوقود ستة أشهر ! ! مع العلم بأن الرَّق الذى كانت الكتب تسطر عليه فى تلك العصور لا يصلح للوقود ، وأن الوالى الذى يريد إعدامها لا يسلمها لمن لعله يبيعها أو يحفظها

وكانت للبشموريين فى شرق الدلتا مواقع استطلاع وعبور لا تقل خطراً عن مواقع اليهود فى العاصمتين ، إذ كانوا يسكنون المراعى الواسعة على تخوم الصحراء بين البحيرات الشمالية وأودية الجنوب . وكانوا عرباً منحدرين . على أرجح الأقوال . من سلالة العمالقة الأقدمين . وكانوا يعاونون العرب الفاتحين . كما عاونهم عرب الصحراء فى الشام على اختلاف العقيدة والمقام ، وإذا لا حظنا أن بادية الفيوم كان يسكنها أناس يتكلمون بلهجة بشمورية علمنا أن أقسام البادية العربية لم تتغير كثيرا من قديم الزمن ، وأن عمرو بن العاص قصد إلى الفيوم قبل فتح منف على علم بأصول هذه السلالة .

كان لقب المقوقس أو المقوقز كلمة يونانية بمعنى المفخم أو الفاخر ، كالحضرة الخديوية « الفخيمة » أو المفخمة كما صححتها اللغة العربية

وشبيه به كذلك قوله : « ما وضعت عند أحد من الناس سرًّا فأفشاه فلمته » . . فسئل : ولم ؟ قال : « أنا كنت به أضيق صدراً حين استودعته إياه » .

وشبيه به على هذا النحو قوله : ! لا أملُّ دابتى ماحملتنى ، ولا زوجتى ما أحسنت عشرتى ، ولا جليسى مالم يصرف وجهه عنى » لأن الذى يصطنع الناس ، ويشترى الصداقات ، ويتجمل للرئاسة ، لابد له من هذه الخصال .

وكان يقول : « اللهم لا قوى فأنتصر ، ولا برىء فأعتذر ، ولا مستكبر بل مستغفر . لا إله إلا أنت . لا إله إلا أنت » . ولم يزل يرددها حتى مات .

وردد فى سرير موته استغفاره الذى يقول فيه : « اللهم أمرت بأمور ، ونهيت عن أمور ، فتركنا كثيراً مما أمرت ، ووقعنا فى كثير مما نهيت . . . اللهم لا إله إلا أنت . اللهم لا إله إلا أنت » .

ودخل عليه ابن عباس فى مرض موته ، فسأله : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحت وقد أصلحت من دنياى قليلا . وأفسدت كثيرا ، فلو كان ما أصلحت هو ما أفسدت لفزت ، ولو كان ينفعنى أن أطلب طلبت ، ولو كان ينجينى أن أهرب لهربت ، فعظنى بموعظة أنتفع بها يا ابن أخى ! » قال ابن عباس : هيهات يا أبا عبد الله . . فأجابه بكلمة يجرى بها لسان من يحضرون السلطان ويردون الوقيعة عنده . كأنه أراد أن يستجلب رحمة الله بكلمة ابن عباس ، فقال : « اللهم إن ابن عباس يقنطنى من رحمتك . فخذ منى حتى ترضى ! » .

فإذا أسلم الذمى فرارا من الجزية ، فالإسلام لا يعفيه من الزكاة ، ولا من خراج الأرض بحسب ما يلزم لإصلاحها وريها ، ويوجب عليه « التجنيد » الذى يعفى منه الذميون ، وليس فى هذا تخفيف ولا إعفاء من وجهة التكاليف التى تناط بالأنفس أو الأموال .

كذلك ينقض التاريخ كل مايقال عن التفرقة بين عناصر الوطنية المصرية . فمن الحقائق الواضحة أن المسلمين والمسيحيين سواء فى تكوين السلالة القومية ، ولا فرق بين هؤلاء وهؤلاء فى الأصالة والقدم عند الانتساب إلى هذه البلاد ، فإذا كان بين المسلمين المصريين أناس وفدوا من بلاد العرب أو الترك ، فبين المسيحيين المصريين كذلك أناس وفدوا من سورية واليونان والحبشة ، ودانوا بمذهب الكنيسة المصرية أو بغيره من المذاهب المسيحية . ويبقى العديد الأعظم بعد ذلك سلالة مصرية عريقة ، ترجع بآبائها وأجدادها إلى أقدم العهود قبل الميلاد المسيحى ، وقبل بعثة موسى عليه السلام

ونكررت المعارضة منه فى طلب الزيادة من مال مصر حتى عزله عثمان رضى الله عنه وقال له حين جاءه الخراج زائدا : «أرى أن اللقاح قد درَّت !» فأجابه : «حين أعْجَفْتُمْ فِصالها» ! !

وربما داعب معاوية فى أمر آخرته ودنياه مداعبة الرجل الذى يعلم أن المداعبة هنا مقبولة ، لأنهما فى الحظ سواء . قال له يوما : لقد رأيت البارحة فى المنام كأن القيامة قد قامت ، ووضعت الموازين ، وأحضِر الناس للحساب ، فنظرت إليك وأنت واقف قد ألجمك العرق ، وبين يديك صحف كأمثال الجبال .

فعاجله معاوية ساخرا : وهل رأيت فى الميزان شيئا من دنانير مصر؟

ودخل على معاوية فى مجلسه ، فضحك معاوية حين رآه . قال عمرو : « مايضحكك يا أمير المؤمنين ، أضحك الله سِنك ؟ » قال : « أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبى طالب . أما والله لقد وافقته منّاناً كريما ، ولو شاء أن يقتلك لقتلك » . فلم يبرح عمرو أن أشركه معه فى عاره . وجعل يقول له ويمعن فى وصف فزعه : « أما والله إنى لعن يمينك حين دعاك إلى البراز ، فاحْوَلت عيناك ، وربا سَحْرك – أى صدرك – وبدا منك ما أكره ذكره لك ، فمن نفسك فاضحك أو دع » .

وكذلك انقضت حياة حافلة ، حياة عاملة ، وحياة طائلة ، وصح فيه . على تباين الآراء والأقوال ، أنه رجل من عظماء الرجال . فمهما يختلف المختلفون فى نيّاته وحسناته أو سيئاته ، فالذى لا خلاف فيه أنه كسب للإسلام قطرين كبيرين : هما فلسطين ومصر ، وأن له سهماً وافراً فى كل ما نحسبه للدولة الأموية من العظائم والمآثر فى تاريخ الأمة العربية والأمم الإسلامية .

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد